والكتابة مستعارة للثبوت واللزوم أي لزمه إضلال متوليه ودلالته على عذاب السعير فأطلق على لزوم ذلك فعل ( كتب عليه ) أي وجب عليه فقد شاع أن العقد إذا أريد تحقيق العمل به وعدم الإخلال به كتب في صحيفة . قال الحارث بن حلزة : .

" وهل ينقض ما في المهارق الأهواء والضمير في ( أنه ) عائد إلى ( شيطان ) وليس ضمير شأن لأن جعله ضمير شأن لا يناسب كون الجملة في موقع نائب فاعل ( كتب ) . إذ هي حينئذ في تأويل مصدر وضمير الشأن يتطلب بعده جملة والمصدران المنسبكان من قوله ( أنه من تولاه ) وقوله ( فأنه يضله ) نائب فعل ( كتب ) ومفرع عليه بفاء الجزاء . أي كتب عليه إضلال من تولاه . والتولي : اتخاذ ولي أي نصير أي من استنصر به .

و ( من ) موصولة وليست شرطية لأن المعنى على الإخبار الثابت لا على التعليق بالشرط . وهي مبتدأ ثان . والضمير المستتر في قوله ( تولاه ) عائد إلى ( من ) الموصولة . والضمير المنصوب البارز عائد إلى ( شيطان ) . أي أن الذي يتخذ الشيطان وليا فذلك الشيطان يضله .

والفاء في قوله ( فأنه يضله ) داخلة على الجملة الواقعة خبرا عن " من " الموصولة تشبيها لجملة الخبر عن الموصول بجملة الجزاء لشبه الموصول بالشرط قصدا لتقوية الإخبار . والمصدر المنسبك من قوله ( فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ) في تقدير مبتدأ هو صدر للجملة الواقعة خبرا عن ( من ) الموصولة . والتقدير : فإضلاله إياه ودلالته إياه إلى عذاب السعير . وخبر هذا المبتدأ مقدر لأنه حاصل من معنى إسناد فعلي الإضلال والهداية إلى ضمير المبتدأ . والتقدير : ثابتان .

ويجوز أن تجعل الفاء في قوله ( فأنه يضله ) فاء تفريع ويجعل ما بعدها معطوفا على ( من تولاه ) ويكون المعطوف هو المقصود من الإخبار كما هو مقتضى التفريع . والتقدير : كتب عليه ترتب الإضلال منه لمتوليه وترتب إيصاله متوليه إلى عذاب السعير .

هذان هما الوجهان في نظم الآية وما عداهما تكلفات .

واعلم أن ما نظمت به الآية هنا لا يجري على نظم قوله تعالى في سورة براءة ( ألم يعلموا أنه من يحادد ا ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ) لأن مقتضى فعل العلم غير مقتضى فعل ( كتب ) . فلذلك كانت ( من ) في قوله ( من يحادد ) شرطية لا محالة وكان الكلام جاريا على اعتبار الشرطية وكان الضمير هنالك في قوله ( أنه ) ضمير شأن .

ولما كان الضلال مشتهرا في معنى البعد عن الخير والصلاح لم يحتج في هذه الآية إلى ذكر

متعلق فعل ( يضله ) لظهور المعنى .

وذكر متعلق فعل ( يهديه ) وهو ( إلى عذاب السعير ) لأن تعلقه به غريب إذ الشأن أن يكون الهدي إلى ما ينفع لا إلى ما يضر ويعذب .

وفي الجمع بين ( يضله ويهديه ) محسن الطباق بالمضادة . وقد عد من هذا الفريق الشامل له قوله تعالى ( ومن الناس من يجادل في ا بغير علم ) النضر بن الحارث . وقيل نزلت فيه . كان كثير الجدل يقول : الملائكة بنات ا والقرآن أساطير الأولين وا غير قادر على إحياء أجساد بليت وصارت ترابا . وعد منهم أيضا أبو جهل وأبي بن خلف . ومن قال : إن المقصود بقوله ( من يجادل ) معينا خص الآية به . ولا وجه للتخصيص وما هو إلا تخصيص بالسبب .

( يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ) أعاد خطاب الناس بعد أن أنذرهم بزلزلة الساعة وذكر أن منهم من يجادل في ا بغير علم فأعاد خطابهم بالاستدلال على إمكان البعث وتنظيره بما هو أعظم منه . وهو الخلق الأول . قال تعالى ( أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ) . فالذي خلق الإنسان من عدم وأخرجه من تراب ثم كونه من ماء . ثم خلقه أطوارا عجيبة إلى أن يتوفاه في أحوال جسمه وفي أحوال عقله وإدراكه قادر على إعادة خلقه بعد فنائه